(العاقبة للحق)

الحديث عن الحق في القرآن الكريم حديث طويل، والحديث عن الصراع بين الحق والباطل فيه متكرر، والحديث عن العاقبة للحق جليٌّ واضح. قال تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

فالصراع بين الحق والباطل بالبيان حيناً وبالسنان حيناً آخر سُنةٌ ماضية في هذه الحياة الدنيا، لم تُرفع بموت الرسل ولا بموت أعدائهم، ولا تتوقف باستشهاد رجال الحق ولا بزهوق أهل الباطل، بل هي سنةٌ ماضية باقية قال تعالى عن المشركين والكفرة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217].

يخبرنا القرآن نتيجة التدافع بين الحق والباطل، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17]. وفي قصة سيدنا موسى وفرعون الكثير الكثير، فكم قتل الباطل من أبناء الحق وكم زبد ورعد وسحر وانتفخ، فماذا كانت العاقبة؟ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 117-119]. وماذا كانت العاقبة في قصة سيدنا إبراهيم مع النمرود ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258]. وماذا كانت العاقبة في قصة نوح مع أهل الباطل ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 11-16].

وماذا كانت العاقبة في قصة شعيب مع الظالمين ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: 94-95]. وقل مثل ذلك في صالح وهود ولوط مع أهل الباطل ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

واليوم، في صراع أهل فلسطين ولبنان مع الصهاينة المغتصبين، تعود سنة التدافع بين الحق والباطل لتظهر، وستعود سنة العاقبة للحق لتظهر بإذن الله؛ فينافح أهل فلسطين ولبنان عن الحق، عن أرضهم التي ولدوا بها، ومقدسات المسلمين التي أمروا بالذود عنها، وعن دينهم الذي آمنوا به، يدافعون عن الأطفال والشيوخ والنساء والمستضعفين.

ويدافع الصهاينة عن الباطل عن سرقتهم لأرض غيرهم واغتصابهم لمياههم وثرواتهم، فهم شراذم تجمعت من أطراف العالم، واحتلوا الديار، وعاثوا في الأرض ظلماً وفساداً، ويعينهم أشباههم من أهل الباطل من ساسة أميركا وأوربا.

ولكن هذا الباطل سيزول ويضمحل ويسقط؛ لأن العاقبة للحق ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص:5-6]. والحمد لله رب العالمين